

## معجزات المسيح في الأناجيل وموقف العصرانيين منها

The Miracles of Christ in the New Testament and the Posture of Modernists towards Them

أوعثمانى صونية<sup>1</sup>

جامعة الأمير عبد القادر - قسنطينة -

ouatmani.sona89@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/03/22 القبول 2020/10/28 النشر على الخط 2021/01/15

Received 22/03/2020 Accepted 28/10/2020 Published online 15/01/2021

## ملخص:

أرسل الله تعالى الأنبياء والمرسلين لهداية البشرية وإرشادهم إلى الطريق المستقيم والإيمان به وباليوم الآخر، فزققهم فصاحة اللسان وحسن الكلام وأيدهم بأفعال تخالف الطبيعة والقوانين المتعارف عليها. هذه الأعمال التي جرت على أيدي أنبياء الله تسمى معجزات ومعناها في الاصطلاح الديني: أمرٌ نادر الحدوث يعجز الإنسان العادي عن الإتيان بمثله. وقد أيد الله أنبياءه بما لتأكيد نبوتهم وصدق رسالاتهم، ونظرًا لمكانة المعجزات في تقوية وتعزيز الإيمان بالله وبالرسل. خصصنا هذا البحث للحديث عن معجزات نبي الله المسيح عليه السلام الواردة في الأناجيل الأربعة نظرًا للحملة النقدية التي شنها الغرب المسيحي عليها بعد ظهور حركة نقد الكتاب المقدس بعهديه، السبب الذي أدى إلى التشكيك فيها محاولين الإجابة على الإشكالية التالية: ما موقف العصرانيين من معجزات المسيح المذكورة في الأناجيل؟ وإلى ماذا أفضت دراساتهم؟

من أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث أن نقاد المعجزات انقسموا بين منكر لها ومعترف لها بتحفظ، ومن يؤمن بالمسيح كمعلم للبشرية دون الحاجة لتلك المعجزات.

الكلمات المفتاحية: معجزات، المسيح، العصرانيين، فولتير، شتراوس، لونوار، سبينوزا، هيغل

## Abstract

God has created Messengers and prophets with fluency in language and supernatural power to guide people to the right path to believe in the hereafter. The power held by prophets are called miracles. From the religious perspective, miracles are the things that rarely happen and which an ordinary man cannot do. God allowed prophets to do miracles as a way to convince others to believe in them. The fact that miracles have high incumbency in supporting the missions of prophits, this research paper tackles the prodigies of Christ that are cited in the four versions of the Bible, especially that these miracles were highly criticized by the Christians of the West in the Old and New Testaments. In this frame, this research inquires about the following : What are the postures of Modernists towards the miracles of Christ that are mentioned in the Bible ? And what has been found so far ? This research, then, demonstrates how the studies made in this field show that researchers are split into deniers, discreet supporters of the miracles of Christ, and others who see Christ as a preacher who does not need prodigies.

Key concepts : (Miracles, Christ, Modernists, Volter, Strauss, Lenoir, Spinoza, Hegel)

## 1. مقدمة:

لقد اختلفت معجزات الأنبياء حسب الظروف والزمان والقوم الذي بعث إليهم كل نبي وذلك حسب درجة قبولهم ونفورهم من دعوة النبي المرسل إليهم... فاختلفت معجزات الأنبياء بين معنوية ومادية وبين الجمع بينهما، فاخترنا هنا دراسة معجزات المسيح لاختلافها واشتمالها على معجزات باقي الأنبياء وكذا كثرتها حسب ما ترويه الأناجيل، كما أنّ المسيحيين أعطوها أهمية كبيرة نظرًا لدورها في إثبات عقيدة تأليه المسيح أو بنوّته حسب المعتقد المسيحي.

قارئ الأناجيل يرى حجم المساحة التي احتلتها معجزات المسيح في الأناجيل الأربعة فلا تكاد تخلو ذكر مرحلة من مراحل حياته دون إرفاقها بمعجزة أو قوّة خارقة حتّى لو كان الفعل الذي قام به عاديًا في بعض الأحيان... كما أنّ قارئ العهد الجديد يلاحظ أيضًا أنّ معجزات المسيح نالت حصّة الأسد من حجم الأناجيل الأربعة، ورويت بتفاصيل دقيقة ومطوّلة ومنوّعة، وتعتبر مصدرًا أساسيًا عند التّصاري لإثبات بعض عقائدهم خاصة ألوهية المسيح، ونظرًا لأهمية هذه المعجزات في الاعتقاد المسيحي دفعنا الأمر للبحث والتساؤل: ما موقف التّقاد الغربيين العصرانيين من معجزات المسيح الواردة في الأناجيل المعترف بها كنسيًا؟ وإلى ماذا أفضت دراساتهم؟ وتندرج تحتها العديد من الإشكاليات: ما مفهوم المعجزة في الاصطلاح المسيحي؟، كيف صوّرت الأناجيل معجزات المسيح؟ من هم أشهر نقاد معجزات المسيح؟ وماهي المعجزات الأكثر عرضة للتّقد؟ وللإجابة عن هذه الإشكالات اعتمدنا عدّة مناهج حسب الحاجة والملاءمة لكلّ عنصر من عناصر البحث: فاعتمدنا المنهج الوصفي عند حديثنا عن معجزات المسيح كما صوّرتها الأناجيل، والمنهج التّقدي التّاريخي عند حديثنا عن أشهر نقاد المعجزات والتّاريخ لزمان كتاباتهم، والمنهج الوصفي التّقدي عند حديثنا عن عرض القرآن الكريم لمعجزات المسيح وموقف المسلمين منها.

عنوان البحث كما أشرنا سابقًا هو موقف العصرانيين من معجزات المسيح الواردة في الأناجيل وتقتضي المنهجية العلمية تعريف مصطلحات البحث كما يلي:

## 2. العصرانيون:

من العصرنة والعصرنة في معجم اللغة العربية المعاصرة هو: "جعل الشّيء عصريًا متمشّيًا مع روح العصر"<sup>(1)</sup>. من خلال هذا التعريف اللّغوي نفهم أنّ "العصرنة في الشّيء" لا تقتصر على مجال معيّن بل تشمل عدّة مجالات وتخصّصات سواء في الأدب، في الشعر، في الفن، في السياسة، في أسلوب العيش والحياة حتّى في الدّين، ورغم وجود حساسية تجاه "العصرانية في الدّين" إلّا أنّنا نلاحظ ظهور الكثير من المفكرين والمؤرّخين الذين يسعون إلى جعل الدّين يتماشى مع العصر الحديث، وتجدر الإشارة إلى أنّ العصرانية في الدّين لا تقتصر على دين معيّن بل تشمل أغلب الأديان. لقد عرّف محمد حامد التّاصر في كتابه "العصرانيون بين مزاعم التّجديد وميادين التّغريب" العصرانية في الدّين كما يلي: "هي وجهة نظر في الدّين مبنية على الاعتقاد بأنّ التّقدّم العلمي والثّقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التّعاليم الدّينية

(1) أحمد مختار عبد الحميد عم، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، 2008م، ط2، ج2، باب: ع ص ر، ص 1508م.

التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة"<sup>(1)</sup>، ويعرفها جورج تيريل George Tyrrell (1861-1909م) بقوله: "... إنها محاولة للتوفيق بين أسس العقيدة الكاثوليكية وبين العقل ونتائج النقد التاريخي التي لا تقبل الجدل... وأنها تهدف إلى إثبات الانسجام والوئام الكامل بين حقائق الدين وبين التعبيرات المتغيرة والمتطورة لهذه الحقائق في شكل عقائد (doctrines) ومؤسسات..."، ويقول أيضاً: "في نظري أحسن وصف للعصرانية أنها الرغبات والجهود لتكوين مجموعة جديدة من مبادئ اللاهوت، تتماشى مع منهج البحث النقدي التاريخي... وأعني بالعصراني (Modernist)، أي متدين من أي كنيسة يؤمن بإمكانية إيجاد توافق بين حقائق الدين الأساسية وبين الحقائق الأساسية في العالم المعاصر"<sup>(2)</sup>. والعصرانيون هم الذين يؤولون النصوص حسب مقتضيات العصر<sup>(3)</sup>.

بعد هذا التعريف الموجز للعصرانيين ننتقل في الجزئية الموالية إلى تعريف المعجزة في اللغة وفي الاصطلاح المسيحي وبيان مكانتها عند المسيحيين ثم نعرض موقف بعض العصرانيين منها ونظرهم لمعجزات المسيح الواردة في الأنجيل المعترف بها كنسباً.

### 3. مفهوم المعجزة:

#### 3. 1. مفهوم المعجزة في اللغة:

عجز: العَجَزُ: نقيض الحُزْم، عَجَزَ عن الأمر يَعْجِزُ وَعَجَزَ عَجْزًا فيهما، ورجل عَجَزٌ وَعَجْزٌ: عاجِزٌ، ويقال: أَعَجَزْتُ فلاناً إذا أَلْفَيْتَهُ عاجِزاً. والمعْجِزَةُ: العَجْزُ. والمعْجِزَةُ، بفتح الجيم وكسرها، مَفْعَلَةٌ مِنَ العَجْزِ: عدمُ القدرة. وأَعَجَزَهُ الشيءُ: عَجَزَ عنه. والتَّعْجِيزُ: التَّشْبِيهُ<sup>(4)</sup>. والمعجزة أيضاً: جمع أعاجيب وهو شيء خارق غير معتاد يدعو إلى العَجَب<sup>(5)</sup>، وهي أيضاً: أمرٌ خارقٌ للعادة يُظْهِرُهُ اللهُ على يد نبيٍّ تأييداً لنبوته، "مُعْجِزَةٌ موسى عليه السَّلام" "العصا"، ومُعْجِزَةٌ محمد عليه الصَّلَاة والسَّلام "القرآن". وترد أيضاً بمعنى: أمرٌ نادر الحدوث يَعْجِزُ الإنسانُ العاديَّ عن الإتيان بمثله: "اختراق الفضاء إحدى معجزات العصر"<sup>(6)</sup>. ومعجزة النبي: ما أعجز به الخصم عند التحدي<sup>(7)</sup>.

لا يخفى على أحد أنَّ أغلب التقاد الغربيين للمعجزة فلاسفة، لذا سندكر هنا تعريفها في الاصطلاح الفلسفي بشكل موجز قبل التطرُّق لمفهومها عند المسيحيين كما يلي:

(1) محمد حامد التاصر، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التَّغريب، مكتبة الكوثر، الرياض، ط2، 2001 ص6.

(2) بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة-المملكة العربية السعودية، ط1، 2012، ص109.

(3) محمود رجب حمادي الوليد، كشف المن في علامات الساعة والملاحم والفتن، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 2002م، ص96.

(4) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعي الإفريقي: لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج 5 ص 368.

(5) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008 م ج 2، ص 1457.

(6) أحمد مختار عبد الحميد عمر: معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 1460.

(7) أيوب بن موسى الحسيني القرعبي الكفوي، أبو البقاء الحنفي: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة - بيروت ج 1، ص 149.

## 2.3 مفهوم المعجزة في الاصطلاح الفلسفي:

المعجزة: بالفرنسية miracle وفي الإنجليزية Miracle أو Wonder وفي اللاتينية Miraculum وهي اسم فاعل من الإعجاز، تقول أعجز الشيء فلاناً أي فاته ولم يدركه، فالمعجزة إذن ما يعجز البشر أن يأتوا بمثله، والمعجزة في اصطلاح الفلاسفة معنيان: فإما أن يطلق على كل أمر لا يخضع للقوانين التي يعرفها الناس وإما أن يطلق على ما لا يخضع لأي قانون معلوم أو مجهول، فإذا أخذنا بالمعنى الأول وجدنا المعجزات كثيرة وإذا أخذنا بالمعنى الثاني وجدناها جد قليلة جداً<sup>(1)</sup>.

## 3.4 . مفهوم المعجزة في الاصطلاح المسيحي:

رغم وجود تقارب في تعريف المعجزة بصفة عامة بين التعريف اللغوي والفلسفي والمسيحي كما سنرى لاحقاً، إلا أن المعجزة عند المسيحيين لها تعاريف خاصة وكثيرة نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

المعجزة في معجم الإيمان المسيحي هي: "قوة أو خارقة يشير بها الله إلى البشر فيتعجبون"<sup>(2)</sup>، وتعني: "علامة، آية، أعجوبة"<sup>(3)</sup> وتعني أيضاً: أيضاً: "موضوع أو شيء مثير للدهشة، بمعنى يندهش، يتعجب، يتفاجأ، وتدلّ الكلمات المرتبطة بالمعجزة على ذلك الذي يثير بظهوره الدهشة والذهول والرهبة في النفس"<sup>(4)</sup>، وتأتي أيضاً بمعنى: "علامة أو أمانة موثوق بها، وعندما تحمل العلامة أو الأمانة سمة الأعجوبي تكتسب الكلمة معنى إشارة إعجازية تدلّ بشكل عام على معجزة صنعها إله أو صانع معجزات تناقض المحرّج الطبيعي للأمر، بحيث يمكن لرسول يهوه أن يوثقوا مهمتهم ورسالاتهم بصنع آيات مثل ما ورد في سفر الخروج: [...] فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هَذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصَا»، فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الْأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الْأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، [...]»<sup>(5)</sup> وتعدّ الأفعال الرمزية للأنبياء طريقة لجعل كلمة الله مرئية للعيان<sup>(6)</sup>. وكلمة معجزة في مفهوم المسيحيين تستخدم كلفظ عام لوصف تجلي القوة الفائقة للطبيعة، إلا أن هناك ألفاظ مختلفة تستعمل فيما يختص بالمعجزات، لأنه لا يوجد لفظ واحد يمكنه أن يستجمع كل معاني المعجزة. ومن بين الألفاظ الأكثر شهرة لوصف ما يطلق عليه لفظ معجزات عند المسيحيين نجد: "أعاجيب (terata) وهذه الكلمة تدل على الحالة العقلية التي تنتاب المشاهدين لمنظر المعجزات "فالمنظر يثير الدهشة"، ونجد أيضاً لفظة علامات (آيات semeion) التي تحمل معها إشارة خاصة لأهمية المعجزات كأختام صدق بها الله من قام بالمعجزة، وترد المعجزات أيضاً بمعنى: قوّات (Dunamis) أي المعجزات هي أيضاً قوّات من حيث أنّها تُظهر قوّة الله العظيمة الموجودة في المسيح نفسه مثلاً، والكلمة تشير إلى قوى جديدة وعليا تعمل في العالم السفلي"<sup>(7)</sup>. وترد كلمة آيات سبعة وسبعون مرة في العهد الجديد بشكل بارز في الأناجيل، وتعني إما علامة أو أمانة كما في متى: [وَالَّذِي أَسْلَمَهُ أُعْطَاهُمْ عَلَامَةً قَائِلًا: «الَّذِي أَقْبَلَهُ

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م ج2 (من ط إلى ي)، ص 391.

(2) صبحي حموي اليسوعي: معجم الإيمان المسيحي، تص: جان كوربون، دار المشرق، بيروت، لبنان ط1، 1994م ص471.

(3) المرجع نفسه، ص666.

(4) المرجع نفسه، ص278.

(5) أنظر خروج 4: 1-17.

(6) أنظر: اشعيا 8-10.

(7) هريت لوكير: كل المعجزات في الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط6، 2013م، ص13-14.

هُوَ هُوَ. أَمْسِكُوهُ».<sup>(1)</sup> أو آية بمعنى معجزة كما في يوحنا: [هذه بداية الآيات فَعَلَهَا يَسُوعُ فِي قَانَا الْجَلِيلِ، وَأَظْهَرَ مَجْدَهُ، فَأَمَنَ بِهِ تَلَامِيذُهُ]<sup>(2)</sup>، وترد عبارة آيات وأعاجيب ستة عشر مرة مثل ما ورد في مرقس: [لأنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَّاءُ كَذِبَةً وَأَنْبِيَاءُ كَذِبَةً، وَيُعْطُونَ آيَاتٍ وَعَجَائِبَ، لِكَيْ يُضِلُّوا لَوْ أُمَكَّنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا]<sup>(3)</sup> وتأتي أيضا بمعنى الرؤى لعلامات النهاية مثل ما ورد في متى: [وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى عَلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلَامِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وَمَا هِيَ عَلَامَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِصَاءِ الدَّهْرِ؟»]<sup>(4)</sup> (5).

يعتقد المسيحيون بصفة عامة أنَّ المعجزة عمل أجزته قوَّة إلهية لغرض إلهي بوسيلة ليست في متناول البشر، حيث يشير الكتاب المقدس أنَّ يد الله تُظهر لأتباعه قدرته ومحبه في كلِّ المجالات... وفضلاً عن الدهشة التي تثيرها المعجزات فهي تهدف إلى الدعوة إلى الإيمان وتأييده وتأييد ما يرافقه من مشاعر أنَّ يسوع بمعجزاته يظهر الملكوت الميساوي الذي بشر به الأنبياء أنَّه قائم في شخصه: [الْعُمِّي يُصْرِوْنَ، وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ، وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ، وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ، وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ، وَالْمَسَاكِينُ يُبَشِّرُونَ]<sup>(6)</sup> كما يرى المسيحيون أنَّ يسوع بمعجزاته يلفت الانتباه إلى نفسه وإلى البشرى السارة التي جاء بها، بشرى الملكوت التي يجددها وهو يثير إعجاباً وخشية دينية يَحْمِلَانِ النَّاسَ عَلَى أَنْ يَسْأَلُوا أَنْفُسَهُمْ مَنْ هُوَ: [فَتَعَجَّبَ النَّاسُ قَائِلِينَ: «أَيُّ إِنْسَانٍ هَذَا؟ فَإِنَّ الرِّيَّاحَ وَالْبَحْرَ جَمِيعًا تُطِيعُهُ!»]<sup>(7)</sup> (8).

### 4.3. معجزات المسيح في الأناجيل:

بعد العرض الموجز لمفهوم المعجزة ودلالاتها وأهميتها عند المسيحيين نحاول في الجزئية التالية الحديث عن معجزات المسيح كما دَوَّنها الإنجيليون بحسب المعتقد المسيحي، وأوَّل ما تجدر الإشارة إليه هو اتفاق دارسي الكتاب المقدس على أنَّ كتاب الأناجيل لم يدوّنوا جميع معجزات المسيح التي قام بها، حيث ورد في التفسير التطبيقي للكتاب المقدس أنَّ: "يوحنا والبشرون الآخرون لم يسجلوا سوى جزء من المعجزات التي حدثت مع أناس لمسه يسوع وشفاهم، إلَّا أنَّهم قد حفظوا للمسيحيين من كلمات يسوع وأعماله ما يكفي ليمكّنهم من معرفته وأن يكونوا تلاميذاً له"<sup>(9)</sup>، وذكر أيضاً هربرت لوكر في مؤلفه كل المعجزات في الكتاب المقدس ما يؤكّد ذلك بقوله: "من المستحيل أن نحسب عدد المعجزات التي أجزاها المسيح، فمعظمها يشير إلى مجموعات، وهي تزيد كثيراً عن عدد الحالات المدوّنة بالتفصيل، وليس كلِّ

(1) متى 26: 48.

(2) أنظر يوحنا 2: 11-18.

(3) مرقس 13: 22.

(4) متى 24: 3.

(5) فيرلين د. فيربوج: القاموس الموسوعي للعهد الجديد (المفردات اللاهوتية: يوناني-عربي)، دار الكلمة logos، القاهرة مصر، ط 1، 2008 ص 622

(6) متى 11: 4-5.

(7) متى 8: 27.

(8) الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية، (معجم اللاهوت الكتابي) [http://www.albishara.net/dictionary/l/read/794?nav\\_show](http://www.albishara.net/dictionary/l/read/794?nav_show)

(9) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة مصر، ط 4، 2002، ص 2258.

ما قاله أو عمله مدون، والإشارات العديدة للمعجزات الشخصية تدلّ على أنّ أولئك الذين شفاهم لا بدّ أنّهم كانوا كثيرين" ومثال ذلك ما ورد في إنجيل متى: [وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ، فَذَاعَ خَبْرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ، فَأَخْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السَّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَقْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ]<sup>(1)</sup> ويعتقد المسيحيون أنّ المعجزات المسجلة في الأناجيل المعترف بها كنسياً قد اختيرت من قبل الروح القدس بنوع خاص لقيمتها الروحية<sup>(2)</sup>.

معجزات المسيح في الكتاب كثيرة ومتنوعة وقد قسّمت في القاموس الموسوعي للكتاب المقدس إلى ثلاث أقسام وهي: معجزات شفائية، معجزات إقامة الأموات، معجزات طبيعية<sup>(3)</sup> وهنا نذكر المعجزات وعددها حسب كل قسم من الأقسام السابقة كما يلي:

**1- معجزات شفائية:** وهي من أكثر المعجزات التي قام بها وذكرتها الأناجيل والمتمثلة في: شفاء نازفة الدّم، شفاء المشلول (المفلوج)، شفاء أبرص عند جنيسارت، شفاء الأبرص، شفاء حماة سمعان بطرس، شفاء رجل ذي اليد اليابسة، شفاء صبي به شيطان، شفاء برتيمائوس الأعمى، شفاء خادم قائد المئة، شفاء رجل أخرس به شيطان، شفاء أعميين، شفاء رجل أخرس، شفاء الأصم المعقود اللسان، شفاء أعمى في بين صيدا، شفاء المرأة الحدياء، شفاء رجل مصاب بالاستسقاء، شفاء عشرة رجال مصابين بالبرص، شفاء أذن عبد رئيس الكهنة، شفاء ابن رجل من حاشية الملك، شفاء مشلول في بيت حسدا، شفاء الأعمى منذ ولادته، طرد الشياطين إلى الخنازير، طرد الشيطان من ابنة الكنعانية، طرد روح نجس من رجل.

مثال: [وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ، تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرَخَانِ وَيَقُولَانِ: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ!»، وَلَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَيْتِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْأَعْمَيَانِ، فَقَالَ لَهُمَا يَسُوعُ: «أَتُؤْمِنَانِ أَنِّي أَفْعِلُ هَذَا؟» قَالَا لَهُ: «نَعَمْ، يَا سَيِّدَا»، حِينَئِذٍ لَمَسَ أُعْيُنُهُمَا قَائِلًا: «بِحَسَبِ إِيْمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا»، فَانْفَتَحَتْ أُعْيُنُهُمَا]<sup>(4)</sup>.

**2- معجزات إقامة أموات وهي ثلاث حالات:** إقامة ابنة يائرس، إقامة ابن أرملة نايين، وإقامة العازر من الأموات.

مثال: [...] وَكَانَ الْجَمِيعُ يَكُونُ عَلَيْهِ وَيَلْطَمُونَ، فَقَالَ: «لَا تَبْكُوا لَمْ تَمُتْ لَكِنَّهَا نَائِمَةٌ»، فَضَحِكُوا عَلَيْهِ، عَارِفِينَ أَنَّهَا مَاتَتْ، فَأَخْرَجَ الْجَمِيعَ خَارِجًا، وَأَمْسَكَ بِيَدِهَا وَنَادَى قَائِلًا: «يَا صَبِيَّةُ، قُومِي!»، فَرَجَعَتْ رُوحُهَا وَقَامَتْ فِي الْحَالِ. فَأَمَرَ أَنْ تُعْطَى لِتَأْكُلَ...]<sup>(5)</sup>.

**3- معجزات طبيعية وهي ثلثي حالات:** تهدئة العاصفة، إشباع الخمسة آلاف شخص، إشباع الأربعة آلاف شخص، لعن شجرة التين، يسوع يمشي على الماء، قطعة التّقد في فم السمكة، معجزة صيد السمك الأولى والثانية، تحويل الماء إلى خمر<sup>(1)</sup>.

(1) متى: 4: 23-24 / أنظر أيضًا: متى: 9: 35 / متى: 11: 21 / مرقس: 6: 53-56 / لوقا: 4: 40-41 / لوقا: 5: 15 / يوحنا: 2: 23 / يوحنا: 3: 2.

(2) أنظر: هربرت لوكر: مرجع سابق، ص 186.

(3) فيرلين د. فيربروج، مرجع سابق، ص 623.

(4) متى: 9: 27-30.

(5) لوقا: 8: 52-58.

مثال: [وَلَكِنْ لِّئَلَّا نُعْثِرَهُمْ، اذْهَبْ إِلَى الْبَحْرِ وَأَلْقِ صِنَارَةً، وَالسَّمَكَةُ الَّتِي تَطْلُعُ أَوَّلًا خُذْهَا، وَمَتَى فَتَحْتَ فَاهَا تَجِدُ إِسْثَارًا، فَخُذْهُ وَأَعْطِهِمْ عَنِّي وَعَنْكَ.]<sup>(2)</sup>.

من خلال ما سبق ومن خلال الأناجيل نلاحظ أنّ معجزات المسيح كانت تؤثر على نفوس المحيطين به خاصة المؤمنين به، وكان لإيمانهم بقدرة يسوع على القيام بالمعجزات يسهّل تحقيقها على يده وهذا ما ذكره صاحب كتاب من الإنجيل إلى الأناجيل بقوله: "...فالمعجزة لها وجهين أساسيين من المعنى: وجه منظور وهو العمل الخارق للعادة الذي يقع تحت حواس الجميع، ووجه غير منظور وهو المغزى الديني الذي يدركه المؤمن، والمعجزة فعل غير اعتيادي يطرح تساؤلاً والكل يجيب عن التساؤل وفقاً لإيمانه أو لعدم إيمانه ولكي يتم الاعتراف بالمعجزة يجب أن يكون هناك إيمان سابق أو أن تكون هناك على الأقل فكرة عن الله وأن يكون الإنسان مستعداً للإيمان فالمعجزة تعتبر كلام الله"<sup>(3)</sup>، لقد ورد في إنجيل مرقس فقرة مفادها أنّه عندما عاد يسوع إلى بلده الأم لم يستطع أن يقوم هناك بأي عمل قوي<sup>(4)</sup>، إلّا أنّه وضع يديه على بضعة مرضى فشفاهم وسبب شبه إخفائه هو عدم إيمان المحليين<sup>(5)</sup>.

لقد رأينا أنّ معجزات المسيح كثيرة ومتنوعة إلى درجة أنّها كانت تثير الشكوك في نفوس من حوله وفي بعض الأحيان تدعو إلى السخرية منه حيث يذكر أتيان شربينتييه ما يلي: "لقد أنهى أحد مفسري الكتاب المقدس أطروحته حول الأعاجيب اليونانية في تلك الفترة بقوله: أتى يسوع بمعجزات وذلك يدلّ على أنّه كان رجلاً دينياً في زمانه، وغالباً ما يكون البحث عن الفحوى التاريخية للأعاجيب الإنجيلية مدعاة للضحك أو أنّه يمتن بالفضول، ولكن في نظر أهل زمانه كانت أعاجيب يسوع علامات التحرير فكانوا يقولون: لقد حلّ فيكم ملك الله، وكان مؤداه أساساً مطابقاً لمؤدّي التطويبات ولكنها متفوّقة على التطويبات بأنّها تُظهر، أي أنّها لا تتكلّم عن ملك الله فحسب بل تظهره بالأعمال"<sup>(6)</sup>.

وبناء على القول السابق -بأنّ معجزات المسيح كانت مدعاة للضحك عند البعض- نفهم أنّ نقد المعجزات وعدم الإيمان بها ليس موضوع حديث بل امتدّت جذوره إلى القرون الأولى من تاريخ المسيحية واستمر إلى يومنا الحالي، وما يهمنا نحن في هذا البحث هو التركيز على آراء المتأخرين الذي يعتمدون على العقل والعلم في فهم للنصوص الدينية وموقفهم من معجزات المسيح وبيان أثارها على أحد أهم العقائد المسيحية والمتمثلة في ألوهية المسيح:

(1) فيرلين د. فيربروج، مرجع سابق، ص 622.

(2) متى 17: 28.

(3) أتيان شربينتييه: من الإنجيل إلى الأناجيل، ت: باسيل قوزي، دار المشرق بيروت، ط 1، 1991م، ج 21، ص 12.

(4) مرقس 6: 4-5: [فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلَّا فِي وَطَنِهِ وَبَيْنَ أَقْرَبَانِهِ وَفِي بَيْتِهِ»، وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلَا قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرَضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ].

(5) أنظر: جفري آش: المعجزات، تر: محمود منقذ الهاشمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م، ص 62.

(6) أتيان شربينتييه، مرجع سابق، ص 13.

#### 4. موقف النقاد من معجزات المسيح الواردة في الأناجيل:

يرى هربرت لوكير في مؤلفه "كل المعجزات في الكتاب المقدس" الذي درس فيه معنى وأهمية المعجزات في حياة البشر حسب المعتقد المسيحي، والذي حاول فيه أن يبين أن المعجزات المذكورة في الكتاب المقدس ليست تحديًا لنواميس الطبيعة بل إعلان لقوة جديدة... ويرى فيمن يقول أن المعجزات لا تحدث قول ينم عن الكبرياء، ويذكر على سبيل المثال قول جوليان هكسلي (Julian Huxley 1887-1975م) أحد المتشككين المجاهدين والتلميذ المتحمس لرسول التطور-داروين- الذي ينكر معجزات الكتاب المقدس بقوله: "لم تعد هناك حاجة أو مكان لكائنات خارقة قادرة على التأثير في مسار الأحداث في نمط التفكير المؤمن بالتطور"<sup>(1)</sup>.

ويلخص الكاتب نفسه أهم المعجزات التي تعرضت للنقد بعد ظهور حركة نقد الكتاب المقدس بعهدية: كيف فُهمت وفُسرَت في نظر النقاد الذين يعتبرون العقل مصدر كل معرفة قائلاً: "ومع نشأة المذاهب الفعلية الحديثة فإن بعض النقاد يرون أن الماء لم يتحول إلى خمر في قانا بل أتى الناس بإمداد جديد للخمر، ولم تكن هناك معجزة في الأرغفة فقد قام المسيح وتلاميذه بإعطاء كل ما كان عندهم من خبز كنوع من أنواع السخاء وسرعان ما احتذى آخرون حذوهم حتى شبع الجميع، والمسيح لم يشف برصاً كل ما في الأمر أنه أعلن أنهم طاهرون"<sup>(2)</sup>، وألغاز لم يمت بالفعل ولكنه راح في غيبوبة فقط وهو نفس الأمر فيما يخص مموت يسوع... وحتى بعض المدارس والكيانات اللاهوتية المتحررة تنكر معجزات الكتاب المقدس عن عمد، بحيث يرفضون الخوارق فيقولون: إن معجزات الكتاب المقدس خرافية وأسطورية وتتكون من هالة كبيرة من الخيال"<sup>(3)</sup>.

نقد المعجزات وتأويل معانيها أو إنكارها كلياً ليس وليد العصر الحديث فقط بل يرجع إلى القرون الأولى من تاريخ المسيحية كما ذكرت سابقاً، ولكن تميزت العصور الأخيرة بنوع خاص من الاهتمام لدراسة معجزات الكتاب المقدس بصفة عامة ومعجزات المسيح بصفة خاصة ومع ظهور حركة نقد الكتاب المقدس في القرن السابع عشر شرع العديد من دارسي الكتاب المقدس في نقد معجزات الواردة فيه، ومن أشهر هؤلاء النقاد الغربيين في ذلك القرن سبينوزا الذي كان له الفضل حين تجرأ على نقد مضامين الكتاب المقدس وبذلك يدين له فلاسفة القرن التاسع عشر والعشرين:

**الموقف الأول:** باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza 1632-1677م) يذكر في مؤلفه الشهير "رسالة في اللاهوت والسياسة" أن: "المعجزة موضوع فلسفي محض يمكن دراسته بالاعتماد على التور الفطري، ويمكن أيضاً دراستها بمنهج النص إذ يؤيد الكتاب بوجه عام خضوع كل شيء لنظام ثابت للطبيعة لا يتغير، ولا يوجد نص واحد يدل على خرق قوانين الطبيعة، فمن يريد استعمال منهج النص فإنه سينتهي حتماً إلى ما يدركه التور الفطري من أن الإيمان بالمعجزة ليس ضرورياً"<sup>(4)</sup>، ويوضح أن العامة يعتقدون أن قدرة الله

(1) هربرت لوكير، مرجع سابق، ص 19.

(2) متى 8: 2-3 [وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلاً: «يا سيّد، إنّ أردتَ تقدرُ أن تُطهرني»، فمدَّ يسوعُ يده ولمسه قائلاً: «أريدُ، فأطهر!»].

(3) هربرت لوكير، مرجع سابق، ص 20.

(4) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، تر: حسن حنفي، دار التنوير، بيروت ط 1، 2005م، ص 65.

لا تظهر إلا عندما تخرق قوانين الطبيعة وأن أكبر دليل على وجود الله بالنسبة لهم هو خرق نظام الطبيعة، بهذا يرى سبينوزا أن الله والطبيعة عند العامة طرفان متناقضان: إذا عمل الله توقفت الطبيعة وإذا عملت الطبيعة توقفت الله. كما أشار إلى أن العامة يعتبرون عجائب الطبيعة أفعال الله أو معجزات تعبيراً عن تقواهم وجهلاً منهم بعلوم الطبيعة وبالعلل الطبيعية وتقديساً منهم لما يجهلونه أو يعجبون به ولا تتصور عظمة الله في اعتقادهم إلا عندما تقهر قوانين الطبيعة، ويشير سبينوزا إلى أن اليهود الأوائل قد تبّنوا هذا التصور. يوضح الكاتب أنه ليس عن طريق المعجزة يمكن للإنسان معرفة الله أو وجوده أو ماهيته، بل يستطيع معرفة ذلك عن طريق نظام الطبيعة الثابت الذي لا يتغير، والإنسان الساذج في نظره هو الذي عندما يجهل شيئاً ينسبه إلى الله. كما ينبّه سبينوزا أيضاً بقوله: "إن المعجزة التي تخرق قوانين الطبيعة لا تؤدّي إلى معرفة الله فقط بل تجعل الإنسان يشكّ في وجوده وبذلك يمكن أن يؤدّي الإيمان بالمعجزات إلى الكفر والإلحاد أيضاً"، مستدلاً بنصوص الكتاب التي تشير إلى أنبياء كذبة يمكنهم القيام بالمعجزات. وخلاصة القول بحسب سبينوزا أن اليهود لم يكن باستطاعتهم تصور الله تصوّراً صحيحاً بالرغم مما شاهدوه من معجزات، في حين أن الفلاسفة في نظره يعرفون الله معرفة واضحة ومتميزة بمعرفتهم للطبيعة لا عن طريق المعجزات<sup>(1)</sup>، وأشار الكاتب أيضاً إلى وجود نصوص كثيرة في الكتاب المقدس "تدلّ على أن مشيئة الله وإرادته ليست شيئاً آخر سوى نظام الطبيعة. لكنّ الكتاب لا يعبر صراحة عن هذه الحقيقة لأنّ مهمته ليست التعريف بالأشياء بعلمها الطبيعية أو بإعطاء حقائق نظرية، بل إثارة للخيال والتأثير على النفوس لأنّ غرضها ليس اقناع العقل بل إثارة الخيال، فكثيراً ممّا تذكره الروايات على أنّه حدث بالفعل لم يحدث بالفعل بل مجرّد صورة شعرية، أما إذا كانت هناك واقعة مناقضة لقوانين الطبيعة صراحة فيجب اعتبارها زيادة في الكتاب المقدس أضافها المحرّفون إذ أنّ كلّ ما يناقض الطبيعة يناقض العقل"<sup>(2)</sup>.

ذكر سبينوزا أن الفلاسفة يعرفون الله حق المعرفة ودون الحاجة إلى المعجزات واعتبر هذه الأخيرة مؤدية للإلحاد في بعض الأحيان وهذا الإقرار قريب في معناه إلى ما أشار إليه فولتير (1694-1778م) في قاموسه الفلسفي حين تحدّث عن المعجزات بقوله: "أنّ المعجزات هي تناقض حقيقي، إمّا نوع من الإهانة إلى الله، ذلك لأنّها تنسب لله مهمّة التصحيح عن طريق تدخّله الإعجازي في الطبيعة التي سبق له أن خلقها وأتى بها إلى الوجود"<sup>(3)</sup>.

**الموقف الثاني:** لللاهوتي الألماني ديفيد فريدريك شتراوس (1808-1874م) David Friedrich Strauss) الهيجلي النزعة الذي ينكر كل دين يقوم على إله شخصي، ويعتقد أنّ العلم يعطي تفسيراً كاملاً وافيّاً للكون، وأنّ الأخلاق لا تستمد جوهرها من الكائن المطلق، بل تنبثق من ضرورات الحياة الاجتماعية، وأنّ ما روي عن ألوهية يسوع ومعجزاته لم تكن سوى أوهام توهّمها المجتمعات البدائية في تفتيشها عن المطلق<sup>(4)</sup>. كما أنّ الأناجيل عند شتراوس هي مرايا عاكسة للوعي في مجال الخبرة الدينية واعتبرها دليلاً على أنّ العقل يمكن أن

(1) باروخ سبينوزا، مرجع سابق، ص 66-67.

(2) المرجع نفسه، ص 68.

(3) عادل عبد الله: صانع المعجزات (دراسة في فهم الدين لقضايا الدين والفلسفة) ص 200

(4) ياسين صلاواتي: الموسوعة العربية الميسرة و الموسعة، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، 201، ج5، ص 2177.

يلتقى المعجزات ويؤكدّها كحقائق<sup>(1)</sup> والشاهد على ذلك في نظره أنّ المعجزات المذكورة في الأناجيل تحوي على طابع دراماتيكي مثل قصة الإنسان الأعمى منذ ولادته<sup>(2)</sup> وقصة إقامة لعازر من الموت<sup>(3)</sup>، التي لم ترد عند كاتب الإنجيل الأول، وفي الإنجيلين مرقس ولوقا يلاحظ القارئ إشارة إلى أوقات وأزمنة غير مضبوطة تجعل من المعجزات أسطورة مثل ماورد في إنجيل مرقس: [فَأَجَابَهُ تَلَامِيذُهُ: «مَنْ أَيْنَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُشْبِعَ هَؤُلَاءِ خُبْزًا هُنَا فِي الْبَرِّيَّةِ؟»]<sup>(4)</sup>، وفي لوقا: [وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ كَانَ يُعَلِّمُ، وَكَانَ فَرِيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّامُوسِ جَالِسِينَ وَهُمْ قَدْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ. وَكَانَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ]<sup>(5)</sup>، وفي: [وَفِي أَحَدِ الْأَيَّامِ دَخَلَ سَفِينَةً هُوَ وَتَلَامِيذُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: «لِنَعْبُرْ إِلَى عَبْرِ الْبَحِيرَةِ». فَأَقْلَعُوا]<sup>(6)</sup>، والإشارة إلى أماكن مجهولة: [ثُمَّ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ وَدَعَا الَّذِينَ أَرَادَهُمْ فَذَهَبُوا إِلَيْهِ]<sup>(7)</sup>، وفي لوقا: [وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ خَرَجَ إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. وَقَضَى اللَّيْلَ كُلَّهُ فِي الصَّلَاةِ لِلَّهِ، وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ دَعَا تَلَامِيذَهُ، تَلَامِيذُهُ، وَاخْتَارَ مِنْهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ، الَّذِينَ سَمَّاهُمْ أَيْضًا «رُسُلًا»]<sup>(8)</sup> وأشخاص مجهولين مثل: [وَفِيمَا هُوَ خَارِجٌ إِلَى الطَّرِيقِ، رَكَضَ وَاحِدٌ وَاحِدٌ وَجَنَّا لَهُ وَسَأَلَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟»]<sup>(9)</sup> وفي لوقا: [فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «يَا سَيِّدُ، أَقْلِيلٌ هُمْ الَّذِينَ يَخْلُصُونَ؟»...]<sup>(10)</sup>، من خلال ما سبق يرى شتراوس أنّه لا يوجد نقص في الأدلة التي تبين أنّ يسوع جال جميع المدن وشفى جميع المرضى وصنع الكثير من المعجزات،<sup>(11)</sup> بالتالي يستخلص في مؤلفه "حياة يسوع" أنّ شهود العيان لمثل هذه الأحداث، أنّ أهم طابع يجب أن يتميزوا به كرواية هو الدراما والقدرة على التصور وربط الأحداث، حيث يذكر أنّ الشخص الذي لا يعرف الوصف بطريقة دراماتيكية لا يمكن أن يكون شاهد عيان<sup>(12)</sup>.

(1) عبد المنعم حنفي: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة ديمولي، ط2، 1999م، ج1، ص879.

(2) أنظر: يوحنا 9: 1-7: [وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَانًا أَعْمَى مُنْذُ وَلَادَتِهِ، فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ، مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟»، أَجَابَ يَسُوعُ: «لَا هَذَا أَخْطَأَ وَلَا أَبَوَاهُ، لَكِنْ لِنَظَرِ أَعْمَالِ اللَّهِ فِيهِ، ... قَالَ هَذَا وَتَفَلَّ عَلَى الْأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِينًا وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الْأَعْمَى، وَقَالَ لَهُ: «ادْهَبْ اغْتَسِلْ فِي بَرَكَةِ سِلْوَامٍ» الَّذِي تَفْسِيرُهُ: مُرْسَلٌ، فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بِصِيرًا].

(3) أنظر: يوحنا 11: 1-11 [فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ غَلَايَةً: «لِعَازَرُ مَاتَ، ... وَلَمَّا قَالَ هَذَا صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «لِعَازَرُ، هَلُمَّ خَارِجًا! ...»].

(4) مرقس 8: 4.

(5) لوقا 5: 17.

(6) لوقا 8: 22.

(7) مرقس 3: 13.

(8) لوقا 6: 12.

(9) مرقس 10: 17.

(10) لوقا 13: 23.

(11) David Frédéric Strauss: vie de Jesus (ou Examen critique de son histoire) tr par :E.Littré troisième édition. librairie de l'adorange qait des augustins-19- paris.1939.p719.

(12) David Frédéric Strauss: vie de Jesus p720.

**الموقف الثالث:** للفيلسوف الإنجليزي الملحد أنطوني فلور (1923-2010 Anthony flor) في بحثه الموسوم ب: "المعجزات" المنشور في الموسوعة الفلسفية نيويورك 1972م الذي يرى أنّ المعجزات قد تكون مستحيلة من وجهة النظر العلمية، قائلاً: "إذا كان الله موجوداً، إذن ومن الناحية المنطقية يمكن أن تكون هناك معجزات، وهكذا فالمعجزات لا تعدّ دليلاً كافياً للعقل ولهذا السبب ليست لها أية قيمة دفاعية"<sup>(1)</sup>، ويعلق على قوله عادل عبد الله أنّ القيمة الدفاعية للمعجزة لدى فلور يجب أن تكون مبنية على أسس عقلية، ولما كانت المعجزات تستند إلى الإيمان وحده فلا قيمة دفاعية لها، ويرى أنّ الأدلة العلمية ضد حدوث المعجزات هو على الدوام أعظم من الأدلة على إمكانية حدوثها<sup>(2)</sup>.

**الموقف الرابع:** للويس (1898-1963 C. S. Lewis) عرض هذا الأخير رأيه في مسألة إمكانية حدوث المعجزات وإثباتها بالدليل التاريخي قائلاً: "يعتقد الكثير من الناس أنّه بوسع المرء أن يحسم مسألة حدوث معجزة في الماضي عن طريق فحص الدليل وفقاً للقواعد الاعتيادية للبحث التاريخي، غير أنّ هذه القواعد التاريخية لا يمكنها أن تعمل إلّا بعد أن تقرّر إن كانت المعجزات ممكنة أو لا، فإن كان الأمر كذلك، فإلى أي مدى هي محتملة الحدوث، لأنّه إن كانت المعجزات مستحيلة، إذن فما من كمية الأدلة التاريخية مهما بلغت ستكون كافية لإقناعنا بحدوثها، من جانب آخر إذا كانت المعجزات ممكنة بدرجة ما، لكنّها غير ممكنة جدّاً من ناحية أخرى، في هذه الحالة سيكون البرهان الرياضي وحده قادر على إثبات ذلك لنا، وبما أنّ التاريخ لم يزودنا أبداً بتلك الدرجة من البرهان لأي حادث حصل، إذن فالتاريخ غير قادر أبداً على إقناعنا أنّ معجزة ما حدثت بالفعل"<sup>(3)</sup>، بالتالي يفهم من كلامه أنّ الدليل التاريخي غير قادر على إثبات وقوع المعجزات حقاً. ومن الأدلة المعتمدة أيضاً الدليل العقلي وهذا ما سنراه في الموقف الموالي.

**الموقف الخامس:** لهيجل (1770-1831 Hegel) كثير من الدارسين يرون يسوع هيجل كأنّه تلميذ كانط نظراً لموقف هيجل من يسوع الذي يشبهه بكانط كثيراً حين يصف أعماله وأقوله، نتساءل هنا ما موقف كانط من الوحي والدين؟

يرى إيمانويل كانط (1724-1804 Immanuel Kant) أنّ الوحي يمكن أن يتضمن في ذاته ديناً عقلياً محضاً، لكن هذا الأخير على العكس من ذلك لا يمكن أن يحتوي على العنصر التاريخي، ويقول أنّه يمكن القيام بمحاولة الانطلاق من أي وحي والتجرد من دين العقل المحض، واعتبار الوحي بمثابة منظومة تاريخية مجزأة فقط من حيث المفهومات الخلقية، ورؤية ما إذا كانت هذه المنظومة لا تعود من جديد إلى المنظومة العقلية المحضة للدين التي لن تكون بلا ريب مستقلة بنفسها من زاوية نظرية بل من زاوية علمية أخلاقية بحيث تكون كافية بالنسبة إلى الدين الأصلي الذي لا يوجد من حيث هو مفهوم عقلي بشكل قلبي إلّا تحت هذه العلاقة، فإذا أفلحت هذا المحاولة سوف يكون بالإمكان القول<sup>(4)</sup>: "أنّ بين العقل والكتاب المقدّس لا ينبغي أن يعثر على مجرّد توافق بل على ضرب من الوحدة أيضاً، بحيث أنّ من يتبع أحدهما لن يفوته أن يصادف الآخر وأن يتفق معه، فإذا لم ينجح هذا الأمر على هذا النحو، فإنّ المرء سيكون له إمّا

(1) نقلاً عن عادل عبد الله: صانع المعجزات (دراسة في فهم الدين لقضايا الدين والفلسفة) ص 204-205.

(2) المرجع نفسه، ص 205-206.

(3) المرجع نفسه، ص 208.

(4) إيمانويل كانط: الدين في حدود مجرّد العقل، تر: فتحي المسكيني، جداول، الكويت، ط 1، 2012م، ص 56.

دينان في شخص واحد وهذا محال، وإما أن يكون له دين من جهة وشعائر من جهة أخرى، وفي هذه الحالة بما أن الشعائر ليست (مثل الدّين) غاية في نفسها وليس لها من قيمة إلا كونها وسيلة فحسب، فإنه ينبغي غالباً أن نخلط بينهما، من أجل الجمع بينهما لبعض الوقت، وذلك لأنهما مثل الزيت والماء سوف ينفصلان من جديد الواحد عن الآخر، أما العنصر الخلقي المحض (دين العقل) فإنه محكوم عليه بأن يطفو على السطح<sup>(1)</sup>.

كانت اهتمامات هيجل في كتابه حياة يسوع خلقية أيضاً مثل كانط وليست تاريخية، لقد كتب هذا الأخير مؤلفه تلبية لهذا الواجب وسعى فيه إلى أن يظهر بمثل عيني: الصراع بين دين خالص هو مذهب يسوع وبين دين وضعي متحرّج في شكلية صارمة دين خارجي تماماً هو الدّين اليهودي، وأن يؤكّد السيادة الخلقية للشخص بالنسبة إلى كل ناموس يريد أن يفرض نفسه عليه من الخارج. لقد جعل هيجل من يسوع كانطياً قبل وجود كانط إذا جاز التعبير، فهيجل يتكلّم عن يسوع وكأنّه تلميذ لكانط: ويظهر ذلك حين حديثه عن العقل الذي يعدّ القياس الأسمى للاعتقاد والمعرفة، وعن العقل الذي لا تستطيع أية سلطة على الأرض أو في السماء أن تجد مقياساً للحكم عليه سوى ما تأخذه منه بذاته، وعن العقل الحر الذي يملّي على ذاته ناموس سلوكه الخلقي وهو ناموس مقدّس، ناموس تحرير يخضع له الإنسان بحرية، وعن العقل الذي يفرض الخلقية كواجب وعن عبادة الله المؤسّسة على التاموس الخلقي، وحسب يسوع هيجل فإنّ الاعتقاد بالعقل وطاعته وحدهما اللّذين يمنحان الإنسان السّلام والعظمة الحقيقية، لأنّ الإنسان لا يحقّق مصيره السّامي إلّا بإيمانه بالعقل، ومسيح هيجل يتكلّم غالباً على كرامة الإنسان الحر خلقياً الذي ينال بفضل عقله ملكة استخلاص مفهوم الألوهة من ذاته ومعرفة إرادتها، فيعظ تلاميذه: [...] لا تَخَافُوا مِنَ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ الْجَسَدَ وَلَكِنَّ النَّفْسَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا، بَلْ خَافُوا بِالْحَرِيِّ مِنَ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ وَالْجَسَدَ<sup>(2)</sup>، ومهمّة مسيح هيجل على الأرض تكمن في جعل البشر أكثر نبلاً بحيث يوقظ في روحهم وعي كرامتهم ويجعلهم يعرفون التاموس الدّاخلي الذي يجب أن يخضعوا له بحرية. بهذا نستخلص أنّ هيجل تصرّف بحريّة تامة في فهم وشرح نصوص الأناجيل نفسه فأعطاه معنى كانطياً تماماً وبذلك حوّل مذهب يسوع التعليمي بكلّ بساطة إلى خلقية كانطية حيث رأى كانط أنّ الاصطلاح الخلقي هو الغاية الحقيقية لكلّ دين عقلي، وهذا الأمر كان يراه هيجل أيضاً في ذلك الوقت وهكذا حذف بكلّ بساطة المعجزات التي ترويه الأناجيل وقدم في عام 1795م "حياة يسوع" من دون معجزات<sup>(3)</sup>.

**الموقف السادس: لفريدريك لenoir (Frédéric Lenoir 1962م)** يذكر لenoir في مؤلفه كيف أصبح يسوع إلهاً؟ أنّه بالإضافة لشخصية المسيح القويّة في الخطاب، فلدى يسوع موهبة أخرى غير عادية وهي: القدرة على الإبراء وحتى القيام بمعجزات مستشهداً بنص من إنجيل مرقس: [وَحَيْثُمَا دَخَلَ إِلَى قَرْيٍ أَوْ مُدُنٍ أَوْ ضِيَاعٍ، وَضَعُوا الْمَرْصِيَّ فِي الْأَسْوَاقِ، وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسُوا وَلَوْ هُذَبَ ثَوْبِهِ. وَكُلُّ مَنْ لَمَسَهُ شُفِيَ]<sup>(4)</sup>. وأشار إلى أنّ سرد هذه المعجزات احتلّ حيزاً كبيراً في الأناجيل والتي ساهمت كثيراً في غموض

(1) المرجع نفسه، ص 57.

(2) متى 10: 28.

(3) أنظر: هيجل: حياة يسوع، تر: جرجي يعقوب، دار التنوير، بيروت-لبنان-، ط 1، 1957م، ص 34-37.

(4) مرقس 6: 56.

شخصية يسوع. كما أنّ كثرتها -بحسب لونوار- دليل على التعاطف الذي شعر به يسوع تجاه الجميع، حيث تنقل الأناجيل أنّ يسوع شفى العديد من المرضى، الصم<sup>(1)</sup>، العمي<sup>(2)</sup> والمفلوجين<sup>(3)</sup>... ويواصل لونوار أن كتاب الأناجيل يؤكّدون أنّ هاته المعجزات لا تتحقّق إلا إذا "آمن" به الحضور كما ذكر متى ذلك صراحة لما قال<sup>(4)</sup>: أنّ يسوع عندما كان في الناصرة: [لَمْ يَصْنَعْ هُنَاكَ قُوَّاتٍ كَثِيرَةً لِعَدَمِ إِيْمَانِهِمْ]<sup>(5)</sup>، ممّا يؤكد مرّة أخرى أن الإيمان بالمعجزات قائم على قناعات شخصية وخلفيات واعتقادات سابقة.

بعد عرض هذه المجموعة من آراء بعض العصرانيين وموقفهم من إمكانية حدوث المعجزات بصفة عامة ومعجزات المسيح بصفة خاصة استنادًا إلى الدليل التاريخي أو الدليل العقلي وأثرها على شخص يسوع خاصة أنّها زادت من غموض هويته بحسب فريدريك لونوار، نذكر هنا بعض حجج رفض بعض المعجزات وتأويل معنى البعض الآخر كما يلي:

### تأويل معاني بعض معجزات المسيح وموقف النقاد منها:

لقد انتقدت معجزات يسوع من طرف المفسرين واعتُبرت شاذة وغير متلائمة مع المعجزات التي تلي تلك التي قام بها بعد قصّة التجربة في البرية<sup>(6)</sup> والواردة في إنجيل يوحنا<sup>(7)</sup> المتمثلة في تحويل الخمر إلى ماء حيث يروي يوحنا أنّه بعد نفاذ الخمر طلب يسوع من الخدم أن يملؤوا يملؤوا ستة أجران بالماء وعندئذٍ تحوّل الماء الموجود فيها إلى خمر... يرى النقاد أنّ تلك الكميّة منافية للمعقول وتستلزم عملية طويلة لافته للانتباه، كما يرون أنّ تحويل الماء إلى خمر شبيه جدًا بتحويل الحجارة إلى خبز. ومن المعجزات المرفوضة أيضًا في نظر النقاد "معجزة المشي على الماء"<sup>(8)</sup> إذ لا يقوم بذلك في وضوح النهار ليزهّل الحشود بل يقوم به في الليل<sup>(9)</sup>. ولكن هناك من يفسّر معجزات المسيح على أنّها أكبر دليل على إنسانية يسوع ونبيل أخلاقه وحبّه لفعل الخير خاصة عند مقارنته بالمجتمع الذي عاش فيه حيث يرى البعض أنّ معجزاته كإطعام خمسة آلاف شخص ببضعة أرغفة وبضع سمكات<sup>(10)</sup> لم تكن حفلة غداء إعجازية، بل فعلاً من أفعال الشفقة، وأنّ أعمال الشفاء جسمية أو ذهنية - معالجة أمراض، وإخراج الأرواح الشريرة - تمضي مع تعليمه بوصفها براهين على المحبة والمساحة الإلهية وعلى قدرة الخير أن

(1) مرقس 7: 30-37: [وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِأَصَمٍّ أَعْقَدَ، ... قَائِلِينَ: «إِنَّهُ عَمِلَ كُلَّ شَيْءٍ حَسَنًا! جَعَلَ الصَّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْخُرْسَ يَتَكَلَّمُونَ»].

(2) مرقس 8: 22-25: [فَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَعْمًى وَطَلَبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَلْمِسَهُ، فَآخَذَ بِيَدِ الْأَعْمَى وَأَخْرَجَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَرْيَةِ، وَثَقَلَ فِي عَيْنَيْهِ، ... فَعَادَ صَحِيحًا وَأَبْصَرَ كُلَّ إِنْسَانٍ جَلِيًّا].

(3) مرقس 2: 3-12: [وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَقْلُوجًا يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ... فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيْمَانَهُمْ، قَالَ لِلْمَقْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ، مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» «لَكَ أَقُولُ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاهْذُبْ إِلَى بَيْتِكَ!». فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ، حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللَّهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!»].

(4) Frédéric Lenoir: Comment Jésus est devenu Dieu, ed, Fayard, France, 2010, P41.

(5) متى 13: 58.

(6) أنظر: متى 4: 1-12.

(7) أنظر: يوحنا 2: 1-11.

(8) متى 14: 25 [وَفِي الْهَزِيعِ الرَّابِعِ مِنَ اللَّيْلِ مَضَى إِلَيْهِمْ يَسُوعُ مَاشِيًا عَلَى الْبَحْرِ].

(9) جفري آش: المعجزات، تر: محمود منقذ الهاشمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م، ص 64.

(10) متى 14: 19: [فَأَمَرَ الْجُمُوعَ أَنْ يَتَكِنُوا عَلَى الْعُشْبِ. ثُمَّ أَخَذَ الْأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَيْنِ، وَرَفَعَ نَظْرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى الْأَرْغِفَةَ لِلتَّلَامِيذِ، وَالتَّلَامِيذُ لِلْجُمُوعِ].

يتغلب على الشر... والتشديد على الشفاء بحد ذاته هو تحدٍ للمعايير الأخلاقية المنتشرة في ذلك الزمان فقد كان الوثنيون يميلون إلى احتقار المرضى وكان بعض اليهود أقسى منهم، إذ ينظرون إلى المرض على أنه عقاب إلهي على الذنب، وهكذا رأى المفسرون أنّ أعمال يسوع الشفائية هي تعاطف مع المصابين بالأمراض، بل ورفع عبء الذنب عنهم، ويرى آخرون أنه حتى إن كانت هذه المعجزات مجرد أساطير فإنّها تظلّ أساطير رؤية جديدة لا مجرد سحر<sup>(1)</sup>.

على العموم يشير "جفري آش" في كتابه: "المعجزات" أنّ الكنيسة الناشئة في سنواتها الأولى لم تؤكد أنّ معجزات يسوع تبرهن على أي شيء بفضل إعجازيتها من حيث هي ولا كانت شيئاً خارجاً عن المؤلف لأنّ العالم الروماني كان مليئاً بصانعي العجائب المزعومين وتطلّب الأمر تمحيصاً جدّياً لرؤية الاختلاف... وما يميّز أعمال يسوع في نظر بعض المفسرين أنّها لا تركز على خرق المؤلف بل حملها لقيم أخلاقية، حيث كان صنع العجائب في العالم الوثني عادةً متقطّعةً وخاليًا من الهدف<sup>(2)</sup>، وكانت أعمال يسوع أعمال حب الخير وأحياناً أعمال شفقة.

ويرى نفس الكاتب أنّه في ضوء العلم التقدي والمعرفة الحديثة للعلاقات بين الدّهن والجسد: "أنّ مفعول المعجزات بوصفها برهاناً مباشراً يبقى صغيراً، أمّا إذا حدثت يقال حسناً قد تكون لدى يسوع موهبة شفائية أو لعلّ الشّهود لم يفهموا ما رأوه... وفي أقصى حدّ فإنّ المعجزات قد لا تبرهن في ذاتها على أكثر من أنّ قدرة تفوق البشر كانت تعمل وقد تكون وقد لا تكون إلهية بالمعنى المسيحي"<sup>(3)</sup>.

### بعض معايير رفض المعجزة:

ورد في كتاب "الفاهمة البشرية" بعض المعايير المعتمدة للحكم على صحة وقوع المعجزة من عدمها وأهمّها: تضارب الشّهادات، طباع الشّهود وعددهم، الطّريقة التي يقدّمون بها شهادتهم أو اجتماع هذه الطّروف كلّها. هذا كلّه يغذّي شكوكاً حول الواقعة عندما يناقض الشّهود بعضهم بعضاً وعندما لا يكونون بالعدد الكافي وعندما يكونون ذوي طباع مشبوهة وعندما يكون لهم مصلحة في الإدلاء بزعم ما، وعندما يروون شهادتهم بتردد، أو العكس بتوكيد فائق الحدة. وهناك خاصيات كثيرة من النوع نفسه قد تنقص أو تتلف قوّة الحجّة المستمدة من الشّهادة البشرية<sup>(4)</sup>.

كما ورد في نفس الكتاب -مبحث في الفاهمة البشرية- الفرق بين المعجزة باعتبارها خرق لقوانين الطّبيعة وبين المعجزة بإطلاقها على بعض الظواهر الحياتية يقول الكاتب: "إنّ موت شخص بصحة جيّدة في الظّاهر فجأة ليس معجزة -كما يسميها البعض- على الرّغم من أنّه غير مألوف لكنّه غالباً ما شوهد يحدث لكن المعجزة "أن يعود ميّت إلى الحياة"، الظاهرة التي لم تشاهد في أي عصر ولا في أي بلد، لذا يجب إذن أن يكون ثمة خبرة مطردة ضد كل حادث معجز وإلاّ لما استحقّق الحادث هذه التّسمية" ويرى أنّ أي شهادة غير كافية لإثبات

(1) جفري آش: المعجزات، ص 65.

(2) أنظر: جفري آش، مرجع سابق، ص 67-68.

(3) المرجع نفسه، ص 68.

(4) ديفيد هيوم، مرجع سابق، ص 156.

معجزة إلا إذا كانت الشَّهادة من التَّوع الذي يكون كذباً أكثر إعجازاً من الواقعة التي تحاول إثباتها<sup>(1)</sup>. ويواصل قائلاً: "أنَّ الأمثلة الكثيرة عن المعجزات المنحولة والحوادث فوق الطَّبيعة التي انكشفت في كلِّ العصور بيَّنة مضادة أو التي انكشف امتناعها أثبتت بقوَّة نزوع البشر نحو الغريب والمدهش وهذا الأمر في نظر الكاتب يؤدي إلى ظهور شكوك ضد هذا النوع من الروايات<sup>(2)</sup> كما يرى أنَّ ما يشكِّل دعوى ضد كل روايات المعجزة هو أنَّها تلاحظ بكثرة عند الأمم الحوشية "الجاهلة" وإذا ما وجدت عند شعب "حضري" يكون هذا الأخير ورثها عن أسلافه الحوشيين الذين نقلوها إليه مع الهيبة والتَّقديس الذي يصاحب دائماً الآراء الموروثة، ولكن سرعان ما يكتشف الإنسان أنَّ لا شيء سرِّي وخارق في المسألة، كل شيء يصدر عن ميل البشر إلى المدهش وأنَّ هذا الميل على الرِّغم من الضَّربات التي يتلقاها من الحس السَّليم والعلم، لا يمكن قط أن يجتثَّ تماماً من الطَّبيعة البشرية<sup>(3)</sup> كما يذكر الكاتب أنَّ هناك سبب آخر ينقص من نفوذ العجائب بقوله: "ليس ثمة من شهادة لصالح أي معجزة إلا ويناقضها عدد لا ينتهي من الشَّهادات، ولكي تكون المسألة مفهومة أكثر دعونا نتأمَّل أنَّه بالنسبة إلى الدِّين كل ما هو مختلف هو متناقض وأنَّه من الممتنع أن تكون أديان العالم جميعها قائمة على أساس متين، وباختصار إلى مرجعية كل المؤلِّفين والشَّهود من يونانيين وصينيين وكاثوليك رومان ممن روى أي معجزة عن دينه الخاص"<sup>(4)</sup> ويخلص أنَّه لا يمكن لأيِّ شهادة بشرية أن يكون لها ما يكفي من القوَّة لإثبات معجزة وجعلها الأساس السَّليم لأي دين<sup>(5)</sup>.

هذه بعض آراء الغربيين حول موقفهم من المعجزات بصفة عامة ومن معجزات المسيح بصفة خاصة، وأهم المعجزات التي انتقدوها والمعايير المعتمدة لقبولها أو رفضها ومدى مصداقية وقوعها من عدمها تأتي في هذه الجزئية الأخيرة من البحث بصفتنا مسلمين ومؤمنين بالله وبكتابه ومعجزات المسيح المذكورة فيه، وباعتبار هذا الأخير صالح لكلِّ مكان وزمان ويساير جميع العصور والأزمنة وأوَّل من ردَّ للمسيح قيمته نحاول هنا ذكر معجزاته بشكل موجز كما صوَّرها القرآن الكريم والهدف منها ردّاً على منكري معجزات المسيح كما يلي:

#### 4. معجزات المسيح في القرآن الكريم:

يعتبر القرآن آخر الكتب السَّماوية التي أرسلها الله إلى خاتم الأنبياء والمرسلين مصدراً لمعرفة المسيح، بل أكثر من ذلك يزيد من احترامنا وتقديرنا له وذكر ما هو مهمُّ في حياة المسيح وتعاليمه ولكي يضع المسيح في مكانته كنبى بمعناها الواسع، يقدِّم لنا القرآن معلومات عن هذه الصَّورة بصورة لم يسبقه إليها أي مصدر آخر، والقرآن لا يقدِّم لنا معلومات تفصيلية عن حياة المسيح إلا بخصوص وقائع معيَّنة ويذكر لنا المعجزات والقدرات الخاصة التي وهبها الله له ولكن بأسلوب مجمل عام<sup>(6)</sup>.

(1) ديفيد هيوم، مرجع سابق، 158-159.

(2) المرجع نفسه، ص. 163.

(3) المرجع نفسه، 163-164.

(4) المرجع نفسه، 167.

(5) المرجع نفسه، 174.

(6) محمد عطا الرِّحيم: عيسى المسيح والتَّوحيد، تر: عادل حامد محمد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2002م، ص221.

ذكر القرآن الكريم للمسيح عليه السلام يبدأ بلغز حمل أمه به من دون زواج، -ويمكن اعتبارها أنها أول معجزة سبقت ميلاده- قال تعالى: [وَأَلْتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ]<sup>(1)</sup> ورد في تفسير مفاتيح الغيب أن المقصود أنها أحصنت فرجها إحصائاً كلياً من الحلال والحرام جميعاً<sup>(2)</sup> كما في قوله تعالى: [وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا]<sup>(3)</sup> وفي قوله تعالى: [وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ]<sup>(4)</sup> "اصْطَفَاكِ" بمعنى اختارك، "طَهَّرَكِ" قيل من مسيس الرجال، و"وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ" قيل: على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب،<sup>(5)</sup> ثم تليها معجزة لم تذكرها الأناجيل وهي تبرئة أمه من اتهامات اليهود لها بكلامه في المهد: [...فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31)]<sup>(6)</sup> قال ميمون بن مهران: "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ"، قالت: كلموه! فقالوا: على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيّاً! وقال السدي: لما أشارت إليه غضبوا، وقالوا: لسخريتها بنا! تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها. "قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا" أي: من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلم؟ قال: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ" أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى ويرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه<sup>(7)</sup>. وذكر الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير: أن إشارة مريم إلى وليدها دلت على أنها تحيلهم عليه ليسألوه عن قصته، أو أشارت إلى أن يسمعوها منه الجواب عن توبيخهم إياها. وتعتبر معجزة كلام عيسى في المهد عليه السلام من الأمور التي أهملتها الأناجيل، فأطلع الله تعالى عليه نبيه صلى الله عليه وسلم<sup>(8)</sup>. وذكر نعمة الله بن محمود النخجواني: "أشارت مريم إليه -ولدها- بأن قل لهم في جوابهم ما يفحمون به ويسكنون ولما رأوا إشارتها إليه وتفويضها الجواب نحوه قالوا على سبيل الاستهزاء كيف نكلم من كان في المهد صبيّاً رضيعاً لم يعهد من مثله التكلم، قد خجلت أنت واستحييت أنت تدفعينا بهذا الرضيع... ثم لما رأى عيسى اشتداد اللائمين على أمه أخذ في الجواب بإلهام الله إياه حيث قال مفصلاً إني عبد الله الحكيم المتقن في أفعاله المستقل في حكمه وآثاره قد خصني بفضله بالنبوة والرسالة وأيدني بأنواع الكرامات والمعجزات الخارقة للعادات وابدعني من محض جوده من روحه وأرسلني نحو عبادته بالهداية والإرشاد إلى توحيده وبالجملة قد جعلني نبيا مثل سائر الأنبياء<sup>(9)</sup>. وقد أطلنا في ذكر المعجزة السابقة لما لها

(1) الأنبياء: 91.

(2) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420 هـ، ج22، ص183.

(3) مريم: 20.

(4) آل عمران: 42.

(5) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417 هـ، ج5، ص223.

(6) مريم: 29-31.

(7) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، 1420 هـ، ج5، ص228.

(8) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، 1384 هـ، ج16، ص98.

(9) نعمة الله بن محمود النخجواني، الفوائح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركابي للنشر - الغورية، مصر، ط1، 1419 هـ، ج1، ص498.

لها من دور في إثبات بشرية المسيح ودحض ألوهيته وعلاقتها بالمعجزات الآتية التي لا تبين سوى قدرة الله وتأكيده نبوة المسيح عليه السلام أذكرها باختصار كما يلي:

معرفة المسيح الكتاب (التوراة والإنجيل) حيث أتاه الله علم الكتاب وفهمه وهو ما أنزله الله من التوراة على موسى والإنجيل على عيسى فلا تكون رسالة بدون تعاليم فكانت هذه من علم الكتاب وفهمه آية على صدق رسالته<sup>(1)</sup>، معجزة الخلق وذلك بنفخ الروح في الطير، وإبراء الأكمه، وإحياء الموتى، الإخبار عن أكل الناس ومدخراتهم (النبؤ بالغيب)، وأنزال المائدة<sup>(2)</sup>.

إن المعجزات التي أحرها المسيح عليه السلام بحسب القرآن الكريم تثبت دعواه للنبوة والرسالة والتي هي بمثابة قول الله: صدق عبيدي فيما يبلغ عني وهي سنة الله في خلقه، إذ أنه سبحانه إذا أرسل رسولاً أتده بالمعجزات والحواري التي يؤيده في دعواه<sup>(3)</sup>. ونرى أغلب معجزاته معجزاته المذكورة في الآية التالية: [إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ]<sup>(4)</sup>، تؤكد الآية الكريمة على أن معجزات المسيح عليه السلام تمت بإذن الله كما في الآية السابقة وليست بقوة المسيح كما تزعم الكنيسة فالمسيح هو رسول إلى بني إسرائيل ومعجزاته جميعاً من عند الله وبأمره<sup>(5)</sup>، وقد ذكر القرآن لنا كثيراً من هذه المعجزات التي أظهرها الله على يد رسله تبين صدق دعوتهم. وكانت هذه المعجزات ممكنة في ذاتها والعقل لا يمنعها والعلم لا ينفيها وقد قال أحد كبار المنطقيين الإنجليز ما يلي: "القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه أو إضافة شيء إليه، ومن السهل أن يقال عنه متصور عند العقل ولكن الذي يقال عنه إنه غير متصور، ليس غير متصور إلى درجة وجود العالم"، وكذلك قال ستيوارت (John Stuart Mill 1806-1873م): "إن الله الذي أوجد سلسلة الأسباب والعلل قادر على تعطيل عمل هذه السلسلة، فلا تكون المعجزة خارقة للعادة بهذا الاعتبار، ولا يختل قانون السببية، فسبب المعجزة إرادة الله"<sup>(6)</sup>، وتأتي المعجزات بدون كسب لأحد من البشر، فالله هو الذي يمد لهم بها مباشرة، وما يظهر على يد غير الرسل من حوارق العادات، ليست كلها حقيقة، فإن منها ما له أسباب مجهولة للجمهور، وإن منها ما هو صناعي يستفاد بتعليم خاص، ومنها من خصائص قوى النفس في توجيهها إلى مطالبها، وسيطرة أقوياء الإرادة على

(1) داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن، ص 76.

(2) المائدة: 112-115: [إِذْ قَالَ الْخَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (112) قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتُنَا وَعَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (113) قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (114) قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (115)]

(3) أحمد علي عجبية: موسوعة العقيدة والأديان (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه)، دار الآفاق العربية، مصر، ط 1، 2006م، ج 11 ص 388.

(4) المائدة: 110، أنظر أيضاً آل عمران: 49.

(5) محمد علي الخولي: حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح، عمان-الأردن، ط 1، 1990م، ص 108.

(6) داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن (رسالة دبلوم الدراسات العليا)، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1973م، ص 73.

ضعفائها<sup>(1)</sup>. ويدخل في هذا الأمر المكاشفة في بعض الأمور والتّوهم المغناطيسي، وشفاء بعض المرضى ولاسيما المصابين بالأمراض العصبية التي يؤثّر فيها الاعتقاد، منها: انخداع البصر بالتخيّل والوهم ومنه ما فعله سحرة فرعون كما ورد في القرآن الكريم: [قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى]<sup>(2)</sup> فالمعجزة لا تتمّ إلّا بقدره الله وإرادته، والمعجزات كلّها من صنع الله مباشرة ومعناها سنّة جديدة بخلاف ما نراه يوميًا من عظة وعظمة، فالولادة ونمو الحيوان والنبات فإنّه مع إعجازه يأتي مطابقًا لقواعد ونظم وضعها الله لا تتغيّر<sup>(3)</sup>، والمؤمنون بالله يصدّقون ما ثبت بالدليل القاطع لعلمهم بأنّ الله قادر على كلّ شيء<sup>(4)</sup>، وقد ذكر القرآن جملة من المعجزات منها ما ورد في الإنجيل كما رأينا ومنها ما لم يرد ذكره وهذا الاستقصاء لمعجزات المسيح عليه السّلام يدلّ على موضوعية القرآن فقد كان صريحًا في رفض مزاعم ألوهية المسيح عليه السّلام<sup>(5)</sup>.

## 5. خاتمة:

في ختام هذا البحث الموجز عن معجزات المسيح وموقف النّقاد العصرانيين منها نستخلص ما يلي:

- أنّ آراء النّقاد ودارسي معجزات الكتاب المقدّس تعتبر ضريبة قاضية على مصداقية مضامين الأناجيل نظرًا للمفاهيم التي تنبّوها عن المعجزة وموقفهم منها كما أشرنا في ثنايا البحث.
- استبعد أغلب النّقاد في دراستهم لمعجزات المسيح كما صورتها الأناجيل حدوثها لما تحمله من أحداث اعتبرها البعض أسطورة وخرافة وتضخيم الأحداث مثل: المشي على الماء، تحويل الماء إلى خمر، إكثار السمك والخبز.
- أنّ النّقاد في دراستهم ركّزوا في الغالب على مدى قبول العقل لتلك المعجزات ومدى مصداقيتها وتوافقها مع نظام الكون السائر معتمدين على أدلة وبراهين عقلية ومنطقية.
- رأى البعض استحالة وقوع تلك المعجزات بالطريقة المذكورة في الكتاب المقدّس واعتبروا حدوثها بتلك الصّورة اخلال لنظام الطّبيعة الذي أقرّه الله منذ البدء، كما أنّها لا تثبت وجود الله، بل تشكّك في مصداقية وجوده حين يبرهن عن نفسه بتلك الطريقة.
- ورأى آخرون أنّها مجرد أفعال خيرية وشعور المسيح بالشفقة نحو الفقراء والمرضى الذين كانوا منبوذين ومحتقرين في مجتمعاتهم فتعاطف معهم يسوع ورفع من شأنهم.

(1) سيد سابق: العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دس، ج 1، ص 213-214.

(2) طه: 66.

(3) داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصوّرها القرآن، ص 74.

(4) داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصوّرها القرآن، ص 73.

(5) محمد عبد الرّحمان عوض: معجزات المسيح في الإنجيل والقرآن، دار البشير، القاهرة، دط، دس ص 133.

- كما أفضت هذه الدراسات أيضاً إلى إسقاط عقيدة تأليه المسيح التي تعدّ ركيزة الإيمان المسيحي وأساسه بإنكار معجزات المسيح ودليل التقاد على ذلك التناقضات في روايات شهود العيان بعدم ذكر الأشخاص والأماكن والأزمنة بدقة، كما أنّ إثبات وقوع تلك المعجزات بالاعتماد على شهود العيان دون البرهنة عليها بمناهج حديثة غير مقبولة عندهم.
- أمّا عن القرآن فقد كان دقيقاً في عرضه لمعجزات المسيح حين حديثه عن أول معجزة أجراها الله على لسان المسيح بكلامه في المهد وتبرئة أمّه من كل الفواحش وإثبات بشرية المسيح ونبوته (وهي المعجزة التي لم تذكرها الأناجيل ولم تشر إليها لا من قريب ولا من بعيد) ثمّ بعرض باقي المعجزات بشكل عام لبيان قدرة الله على يد نبيه، كما أشار القرآن الكريم أنّ كل تلك المعجزات جرت بإذن الله.

## 6. قائمة المراجع:

الكتب المقدسة:

(1) القرآن الكريم:

(2) الكتاب المقدس: نسخة دار الكتاب المقدس بمصر، القاهرة، الإصدار الثالث، ط4، 2006م.

التفسيرات الإسلامية:

- (1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، 1420هـ، ج5.
- (2) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ، ج5.
- (3) جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط5، 1424هـ، ج1.
- (4) فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ، ج22.
- (5) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر - تونس، 1384هـ، ج16.
- (6) نعمة الله بن محمود النخجواني، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، دار ركايا للنشر - الغورية، مصر، ط1، 1419هـ، ج1.

التفسيرات المسيحية:

- (1) التفسير التطبيقي للكتاب المقدس، التعريب والجمع التصويري والمونتاج والأعمال الفنية شركة ماستر ميديا، القاهرة مصر، ط4، 2002.
- (2) فيرلين د. فيربروج، القاموس الموسوعي للعهد الجديد (المفردات اللاهوتية: يوناني-عربي)، دار الكلمة logos، القاهرة مصر، ط1، 2008.

(3) الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية، (معجم اللاهوت الكتابي)

[http://www.albishara.net/dictionary/l/read/794?nav\\_show](http://www.albishara.net/dictionary/l/read/794?nav_show)

المعاجم اللغوية:

- 1) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 2008 م ج2.
- 2) أيوب بن موسى الحسيني القرمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة - بيروت ج1.
- 3) محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط3، 1414 هـ، ج 5.

الكتب العربية:

- 1) أتيان شربنتيه: من الإنجيل إلى الأناجيل، ت: باسيل قوزي، دار المشرق بيروت، ط1، 1991م، ج21.
- 2) أحمد علي عجيبة: موسوعة العقيدة والأديان (الخلاص المسيحي ونظرة الإسلام إليه)، دار الآفاق العربية، مصر، ط1، 2006م، ج11.
- 3) إيمانويل كانط: الدّين في حدود مجرّد العقل، تر: فتحي المسكيني، جداول، الكويت، ط1، 2012م.
- 4) باروخ سبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسية، تر: حسن حنفي، دار التنوير، بيروت ط1، 2005م.
- 5) بسطامي محمد سعيد خير، مفهوم تحديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدّة-المملكة العربية السعودية، ط1، 2012.
- 6) جفري آش: المعجزات، تر: محمود منقذ الهاشمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2011م.
- 7) جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دط، 1982م ج2 (من ط إلى ي).
- 8) داود علي الفاضلي: أصول المسيحية كما يصورها القرآن (رسالة دبلوم الدراسات العليا)، دار الحديث الحسنية، الرباط، 1973م.
- 9) ديفيد هيوم: مبحث في الفاهمة البشرية، تر: موسى وهبة، دار الفرابي، بيروت لبنان، ط1، 2008.
- 10) سيد سابق: العقائد الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، دط، دس ج1.
- 11) صبحي حموي اليسوعي، معجم الإيمان المسيحي، تص: جان كوربون، دار المشرق، بيروت، لبنان ط1، 1994م.
- 12) عادل عبد الله: صانع المعجزات (دراسة في فهم الدّين لقضايا الدّين والفلسفة)، دار ميزوبوتاميا، بغداد، ط1، 2016م.
- 13) عبد المنعم حنفي: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة دمبولي، ط2، 1999م، ج1.
- 14) محمّد عبد الرّحمان عوض: معجزات المسيح في الإنجيل والقرآن، دار البشير، القاهرة، دط، دس.
- 15) محمد عطا الرّحيم: عيسى المسيح والتّوحيد، تر: عادل حامد محمد، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2002م.
- 16) محمد علي الخولي: حقيقة عيسى المسيح، دار الفلاح، عمّان-الأردن-، ط1، 1990م.
- 17) محمود رجب حمادي الوليد، كشف المن في علامات الساعة والملاحم والفتن، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط1، 2002م.
- 18) هريت لوكير: كل المعجزات في الكتاب المقدّس، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط6، 2013م.
- 19) هيجل: حياة يسوع، تر: جرجي يعقوب، دار التنوير، بيروت-لبنان-، ط1، 1957م.
- 20) ياسين صلاواوي: الموسوعة العربية الميسرة و الموسوعة، ط1، مؤسسة التاريخ العربي، 201، ج5.

الكتب الأجنبية:

- 1) David Frédéric Strauss: vie de Jesus (ou Examen critique de son histoire) tr par :E.Littre troisieme edition. librairie de l'orange qait des augustins-19- paris.1939.
- 2) Frédéric Lenoir: Comment Jésus est devenu Dieu, ed, Fayard, france, 2010, P41.